

هارتموت روزا : التسارع والاعترا ب - نحو نظرية نقدية جديدة للحادثة المتأخرة

الدكتور / كمال بومنير

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة - جامعة الجزائر (2)

Résumé :

Le philosophe et sociologue allemand contemporain Hartmut Rosa (né en 1965) est le représentant majeur de la quatrième génération de la théorie critique de l'école de Francfort. Il est l'auteur de deux importants ouvrages, Accélération. Une critique sociale du temps (La Découverte, 2010) et Aliénation et Accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive (La Découverte, 2012). L'expérience majeure de la modernité, comme Hartmut Rosa le montre bien, est celle de l'accélération. La vie moderne est une constante accélération sociale. Nous le savons et l'éprouvons chaque jour, et nul ne songe à contester l'évidence- que chacun peut observer à loisir dans sa vie quotidienne- de la gigantesque accélération des transports, de la communication et de la production, qui peut être définie comme « accélération technique ». Nous sentons -selon Hartmut Rosa que « tout devient toujours rapide », et pourtant nous souffrons toujours plus du manque de temps, et on a-en outre- le sentiment de devoir « courir » toujours plus vite, non pas pour atteindre un objectif mais simplement pour « rester sur place ». C'est principalement cet aspect de l'accélération dans la vie moderne qui est au centre de la pensée philosophique et sociologique de Hartmut Rosa.

Mots clés : Accélération sociale- modernité tardive -Critique sociale-
changement social- Rationalisation - Aliénation.

ما يميّز الحداثة في زمننا هذا هو تزايد سرعة أو وتيرة الحياة الاجتماعية، وهذا بسبب التحوّلات السريعة التي شهدتها العالم المادي والاجتماعي والحضاري، والتي مست جميع مظاهر الحياة الإنسانية، أدت في نهاية المطاف إلى تغييرات جوهرية في أنماط وأشكال الحياة والمعيشة.

هذا، وقد تعددت النظريات الفلسفية والاجتماعية بصدد تفسير هذه التحوّلات، فمنها من فسّر ذلك بمفهوم العقلنة **Rationalisation** (ماكس فيبر **Max Weber**، يورغن هابرماس **Jürgen Habermas**) أو بمفهوم التباين **Différentiation** (إميل دوركايم **Emile Durkheim**، نيكلاس لوهمان **Niklas Luhmann**) أو التقريد **Individualisation** (غيورغزيميل **Georges Simmel**، أولريشبيك **Ulrich Beck**) أو الترويض **Domestication** (كارل ماركس **Karl Marx**). غير أنّ تحاليل هؤلاء المفكرين - في نظر هرتموتروزا **Hartmut Rosa** - لم تعد كافية اليوم لفهم هذه التحوّلات السريعة التي تعرفها الحياة الاجتماعية في ظل ما يسميه بالتسارع الاجتماعي الذي ارتبط ارتباطا وثيقا وعضويا بمفهوم ومسار الحداثة الغربية المعاصرة. إنّ التجربة الأساسية للحداثة الغربية حسب تصوّر ممثل الجيل الرابع لمدرسة فرانكفورت النقدية، هارتموت روزا - أصبحت تقوم على ما يسمى بـ "التسارع" **Accélération**، وهذا ما تشهده المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا، حيث أصبح كل شيء يتم في زمننا هذا بسرعة فائقة، بعدما أصبح الزمن مقولة أساسية في نسيج الواقع الاجتماعي نفسه. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ مقارنة روزا لا تندرج فيما يسمى بعلم الاجتماع الزمن **Sociologie du temps**، لأنّ اهتمام روزا ليس منصبا على الزمن من حيث هو كذلك، ولا عن تأثيره في الممارسات والبنى الاجتماعية وإنما ينصب - بشكل أساسي- على فهم التطورات

الاجتماعية المعاصرة والإشكاليات المرتبطة بعمليات التحديث، وفيما إذا كانت هناك قطيعة ضمن هذه العمليات، بين الحداثة (الكلاسيكية) والحداثة المتأخرة **Modernité tardive** قصد استخلاص النتائج السياسية والأخلاقية لهذه القطيعة، ومن ثمة إمكانية إعادة صياغة النظرية الاجتماعية الحالية. ضمن هذا السياق، يرى روزا أنّ فهم مسار الحداثة الغربية في عمقها وديناميكيتها يقتضي الاهتمام بالزمن وما يرتبط به من تسارع فائق على ثلاثة مستويات أساسية وهي :

1- التسارع التقني (L'accélération technique) :

إنّ الشكل الأولي والأساسي للتسارع -بحسب تصوّر روزا- أصبح يتم ضمن العمليات التقنية الموجهة نحو تحقيق أهداف وغايات في مجالات النقل وتقنيات الاتصال الهائلة التي أصبحت تنقل الصور والأفكار بلا انقطاع، بالإضافة إلى أشكال الإنتاج الجديدة التي أصبحت تهمين على كل مجالات الحياة اليومية. ويمكن إدراج هذه العمليات فيما يسميه روزا "التسارع التقني" الذي أصبح يؤثر بشكل كبير في وتيرة حياة البشر في زمننا هذا. ويمكن أن نضيف إليها أيضا كل أشكال التنظيم والإدارة الجديدة التي تصبو إلى تحقيق تسارع العمليات أو الإجراءات العملية في هذا المجال الحيوي الذي أصبح يطبع الحياة الإنسانية المعاصرة ويؤثر في وتيرة نشاطات الإنسان اليومية. وهذا ما يظهر بجلاء في الواقع الاجتماعي نفسه إلى الحد الذي تحوّل فيه هذا الواقع بشكل جذري بل وتغيّر أيضا "النظام الزمني والمكاني للمجتمع وكيفية إدراك هذا النظام في الحياة الاجتماعية". لذا، فإنّ الأولوية "الطبيعية" أو الأنثروبولوجية للزمن والمكان من منظور الإدراك الإنساني المتجذر على مستوى الحواس أصبح يسمح -بحسب روزا- بالتمييز بين ما هو موجود "فوق" و"تحت"

أو "أمام" و"خلف" ولكن ليس بين ما يقع "قبل" و"بعد"، بحيث أصبح من الممكن قلب هذه العلاقة بفعل التسارع التقني الحالي الذي أصبح يُنظر فيه إلى الزمان من حيث هو عنصر تقليص وضغط للمكان الذي أصبح يتبدى لنا اليوم وكأنه تقلص وانكمش افتراضيا بسبب السرعة الفائقة التي تميّز مجالي النقل والاتصال، أكثر منها في القرون الماضية. لقد تقلصت -على سبيل المثال- المسافة بين مدينة لندن ومدينة نيويورك، فبعدما كانت تستغرق السفن الشراعية حوالي ثلاثة أسابيع في سفرها بين المدينتين أصبحت الطائرات النفاثة تستغرق اليوم حوالي 8 ساعات من الطيران فقط.

2- تسارع التغير الاجتماعي : L'accélération du changement social

لقد أثر التسارع التقني تأثيرا بالغا على ما يسميه علماء الاجتماع التغير الاجتماعي ؛ لقد أدى هذا التسارع - الذي تم ضمن سيرورة الاختراعات والانجازات التكنولوجية والمادية- إلى إحداث تغييرات جوهرية في المجتمعات الحديثة. وقد انعكست حتما على بنية هذه المجتمعات ومؤسساتها ومعاييرها وقيمها وأنماط حياتها. وهذا ما يظهر بجلاء في شبكة العلاقات الاجتماعية وأشكال الممارسة التي أصبحت تتغير بسرعة فائقة ووتيرة متسارعة جدا، إلى الحد الذي لم يعد من الممكن قياس أو معرفة نسبة سرعة التغير الاجتماعي نفسه. فالتحوّلات المتسارعة لشروط الحياة وللمؤسسات والعلاقات، أو بعبارة أخرى، لتسارع التغير الاجتماعي، يضع الأفراد أمام المشكلة التالية : يجب عليهم تخطيط حياتهم على المدى البعيد حتى يضمنوا استقرارهم النسبي. غير أنّ مثل هذا الإجراء أصبح مستحيلا اليوم بسبب الظروف المفاجئة أو الطارئة التي يتعرض لها الأفراد والمجتمع بكامله في زمننا هذا. وتجدر الإشارة هنا أيضا

أن علماء الاجتماع المتخصصين في موضوع التغير الاجتماعي غير متفقين فيما يخص المؤثرات الأساسية للتغير الاجتماعي واللحظة الزمنية الحاسمة التي تمثل فيه التحولات المتسارعة تغيراً فعلياً على المستوى الاجتماعي. ضمن هذا السياق يعتقد هرتموت روزا أنه أصبح من الممكن اعتماد ما يسميه بـ "ضغط الحاضر **compression du présent**" كمفهوم محدد أو مؤثر لقياس سرعة التغير من الناحية التجريبية. هذا، وقد استعار روزا هذا المفهوم — كما أشار إلى ذلك هذا الأخير — من الفيلسوف الألماني هرمان لوبي **Hermann Lübbe** الذي أكد بأن المجتمعات الحديثة الغربية أصبحت تخضع اليوم لضغط الحاضر بسبب تسارع عمليات الابتكار الثقافي والاجتماعي. لذلك يعتقد لوبي أن الزمن الماضي يتحدد بكونه لم يعد قائماً أو ساري المفعول، وأن المستقبل هو ما لم يحدث بعد. أما الزمن الحاضر فهو يمثل المدة الزمنية التي توافق أو تتزامن مع مكان التجربة وأفق الانتظار **Horizon d'attente**. لذلك يمكن تعريف تسارع التغير الاجتماعي بأنه ازدياد وتيرة إلغاء تجارب وتطلعات الفعل، واختزال المراحل التي تتم بسرعة فائقة من حيث أنها تنتمي إلى الزمن الحاضر، وهذا بالنظر إلى مختلف المجالات المتعلقة بالوظائف والقيم والمعايير. ويمكن تأكيد هذا المقياس، كما يرى روزا، على مستوى المؤسسات والممارسات الاجتماعية والثقافية؛ فالزمن الحاضر يتقلص ضمن الأبعاد السياسية والمهنية والتقنية والفنية، بالإضافة إلى المستويات المعرفية والعلمية أو المعيارية، أي من وجهة نظر ثقافية وبنائية.

لقد تضمنت المجتمعات الغربية، منذ بداية مسار الحداثة الأسرة والعمل، لذلك ركزت معظم الدراسات الاجتماعية المهتمة بالتغير الاجتماعي على هاتين مؤسستين، بالإضافة إلى المؤسسات السياسية والعلمية. لقد تم تسريع التغير الاجتماعي على مستوى الأسرة، بحيث انتقلنا من نمط ما يسمى "ما بين الأجيال

Intergénérationnel في بداية العصر الحديث إلى نمط آخر وهو النمط "التجالي **Générationnel** أثناء الحداثة الكلاسيكية، وأخيرا إلى نمط "عبر جيلي" **intragénérationnel** في زمن الحداثة المتأخرة. بهذا، يمكننا القول بأنّ البنية الأسرية عرفت بدورها تغييرا هاما فيما يخص دوامها واستمرارها على المستوى الاجتماعي، إذ لم تعد هذه البنية أو المؤسسة -في زمن التسارع- ثابتة بالصورة التي كانت عليها في الأزمنة الماضية، وهذا ما يظهر بجلاء من خلال ارتفاع معدلات الطلاق والإقبال على تغيير الزوجات بعد انقضاء فترة قصيرة من الزواج الأول. أما في ميدان العمل، فقد كانت مهنة الأب مثلا في بداية العصر الحديث تنتقل إلى الابن ثم إلى ابن هذا الأخير، وهكذا يستمر بقاء هذه المهنة عبر أجيال بكاملها وعبر سنوات كثيرة. أما في زمن الحداثة الكلاسيكية فقد بدأت المهن تتغير عبر الأجيال، بحيث أصبح الأبناء أحرارا في اختيار مهنتهم التي يمارسونها طوال حياتهم، وهذا بغض النظر عن مهن آبائهم وأجدادهم. أما في زمن الحداثة المتأخرة فقد أصبحت فيه المهن متغيرة باستمرار عما كانت عليه من قبل. لقد أصبح الناس يغيرون مهنتهم وأعمالهم في سنوات أو أشهر وينتقلون إلى ممارسة مهن وأعمال أخرى بسرعة فائقة، وبالتالي لم تعد هذه المهن ثابتة. ولذلك يمكن أن يكون استقرار المؤسسات والممارسات الاجتماعية -بحسب روزا- مؤشرا أساسيا لقياس التسريع الاجتماعي، كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

3- تسارع وتيرة الحياة الاجتماعية : (L'accélération du rythme de vie)

لقد أصبح الفاعلون الاجتماعيون - كما يرى روزا - يشعرون أنهم في حاجة ماسة إلى الزمن وإلى مزيد من الوقت الذي تحوّل إلى مادة أولية يتم استهلاكها كبقية المواد الاستهلاكية الأخرى. غير أنّ الوقت في زمننا هذا

أصبح يتسم بالندرة **Rareté** إذا ما قيس بالمواد والأشياء الأخرى، وهذا ما دفع روزا إلى القول بأن المجتمعات الحالية، أي مجتمعات الحداثة المتأخرة أصبحت - من دون شك- تعاني مما يسميه "المجاعة الزمنية" وهذا في الوقت الذي تعرف فيه هذه المجتمعات تسارعا تقنيا معتبرا لم تشهد البشرية من قبل، وهذه لفارقة عجيبة يعرفها البشر في هذا الزمان. لكن السؤال المطروح هنا هو : ما مقياس تسريع وتيرة الحياة الاجتماعية في نظر هارتموت روزا ؟

يرى روزا بأن ذلك يمكن أن يتم من خلال مقارنة "ذاتية" أو مقارنة "موضوعية"، لكن من الأفضل- في رأيه- الجمع بين المقاربتين ؛ فمن الناحية الذاتية نلاحظ أن الناس يعتقدون بأن الزمن عنصر نادر في حياة البشر، لذلك يشعرون بالعجلة وكأنهم واقعين تحت ضغط الزمن، أو بعبارة أخرى كأن لديهم ذلك الشعور أو الانطباع بأن الوقت يمر بسرعة فائقة عما كان عليه الحال في الزمن الماضي، لذلك تجدهم يشكون دوما وفي كل حين من هذه السرعة الفائقة التي لم تعد تسمح لهم بإشباع وتيرة حياتهم الاجتماعية. هذا وقد أكدت الدراسات الاجتماعية والنفسية المتخصصة في المجتمعات الغربية المتقدمة تكنولوجيا- كما يرى روزا- بأن الناس أصبحوا -في هذه المجتمعات- يشعرون بأن حياتهم أصبحت رهينة عامل الزمن السريع، لذلك أصبحوا يشكون من "ندرة الوقت"، وخاصة بعد ظهور عصر آلات الحساب العملاقة والتكنولوجيات الجديدة و"الثورة المعلوماتية والرقمية"، وخاصة في زمن العولمة. أما من الناحية "الموضوعية" فإن تسريع "سرعة الحياة" يمكن أن يقاس بوحدات الفعل الذي يقوم به الإنسان في حياته اليومية، كالأكل والنوم واللعب والتخاطب الخ. لقد أثبتت الدراسات المتخصصة في هذا المجال أننا أصبحنا نميل أكثر إلى الأكل السريع والتقليل من ساعات النوم والاتصال المحدود مع أفراد

الأسرة والإنقاص من أوقات المخصصة للذهاب إلى السينما أو حضور مراسيم جنازة أو حفل مثلاً، وخاصة عندما تتراكم الأعمال وتقل أوقات الفراغ بفعل التسريع الذي تعرفه الحضارة المعاصرة وهذا الوضع أصبح يقلقنا ويزيد من توترنا، لأنه يفقدنا بذلك الحياة الطيبة والسعادة الحقيقية التي كنا نسعى لتحقيقها.

التسريع الاجتماعي والاغتراب :

هذا، ويعتقد روزا أيضاً أنّ التسريع الاجتماعي الذي تعرفه المجتمعات الحديثة الحالية أدى إلى ظهور أشكال جديدة من الاغتراب **Aliénation** متعلقة هذه المرة بالزمان والمكان والأشياء والأفعال وبالعلاقة مع الذات ومع الآخرين. وإذا كان الاغتراب -بحسب كارل ماركس- ظاهرة يعيشها البشر ضمن الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها نمط الإنتاج الرأسمالي، والتي أدت إلى وقوع البشر فريسة للاغتراب على مستوى الأفعال (العمل) والمنتجات (الأشياء) والعلاقة مع الطبيعة والمجتمع مع الذات، بحيث عاش هؤلاء البشر تجربة الاغتراب ذاتياً وموضوعياً واجتماعياً، فقد عمل هيرتموت روزا، من خلال مقارنته الجديدة لمفهوم التسريع الاجتماعي على تعميق التفسير الماركسي **Marxien** لظاهرة الاغتراب ؛ في هذا السياق يرى روزا أنّ هذه الظاهرة الإنسانية أصبحت تحدّد اليوم -بشكل أساسي- ضمن علاقة الإنسان بالزمان والمكان. لذلك كان من اللازم في رأيه تسليط الضوء (وهذا ما لم تقم به الدراسات الماركسية في السابق) على البعد الزمني للاغتراب قصد تعميق هذا المفهوم وفهم آلياته وسياقاته الجديدة التي أصبحت من دون شك تتجاوز التفسير الاقتصادي **Economisme** لظاهرة الاغتراب ومجال الرأسمالية الكلاسيكية

كما يعتقد هرتموت روزا. لذلك فإن أشكال الاغتراب المرتبطة بالتسريع الاجتماعي عنده أصبحت تتحدّد في رأيه على النحو التالي :

1- الاغتراب بالنسبة إلى المكان :

يعتقد روزا أنّ المفهوم الأساسي والجوهري للاغتراب يكمن في علاقة الذات بالعالم ؛ فلاغتراب يعبر -في حقيقة الأمر- عن تلك العلاقة المشوّهة، العميقة والبنوية، التي أصبحت تميّز العلاقات بين الذات والعالم، بحيث أصبحت هذه الذات تشعر وكأنّ العالم مجرد امتداد في المكان. وهذا ما لاحظته الكثير من الباحثين والمفكرين ومن بينهم بول فيرليو Paul Virilio الذي أشار إلى الانفصال القائم -في زمن العولة- بين الاقتراب الاجتماعي والاقتراب الفيزيائي : فمن كان قريبا منا اجتماعيا لم يعد في حاجة إلى أن يكون قريبا منا فيزيائيا، والعكس صحيح أيضا. انطلاقا من هذا، نستطيع القول بحسب روزا- بأنّه لم يعد حصر الموقع المكاني لجل العمليات الاجتماعية أمرا يمكن تحديده. غير أنّ هذا لا يؤدي بالضرورة وبشكل آلي إلى "الاغتراب بالنسبة إلى المكان" ولكن يمكن أن يسهم في ظهوره وتشكّله. إنّنا نحن البشر- في حاجة إلى بعض أشكال من الألفة أو الحميمية مع المكان. لكن تحقيق هذه الألفة أمر يتطلب مرور بعض الوقت أو مسافة زمنية معينة. وبالتالي، يمكن أن يخلق التسارع الاجتماعي حركية كبيرة وفك الارتباط مع المكان الفيزيائي، ولكنه، ومع ذلك، يزيد أيضا من اغترابنا بالنسبة لمحيطنا الفيزيائي أو المادي.

2- الاغتراب بالنسبة إلى الأشياء :

يستوجب عالم الأشياء بحسب تصوّر روزا- نمطين من الأشياء على الأقل : أشياء ننتجها وأخرى نستهلكها. فالبشر كما يرى روزا- يدخلون دائما في

ألفة مع بعض الأشياء التي تحيط بهم، غير أنّ علاقتهم بهذه الأشياء تتغير بسرعة التبادل. فحينما يحتفظ المرء -على سبيل المثال- بسيارته لمدة طويلة، تصبح هذه الأخيرة وكأنها جزء منه، أو بعبارة أخرى تتداخل مع مجال تجربته اليومية المعاشة، بل ومع هويته وتاريخه أيضا. وتجدر الإشارة إلى أنّ الأشياء والمنتجات الاستهلاكية أصبحت -في مجتمع التسارع- معقدة الصنع من الناحية التقنية، ومن ثمة أصبح من الصعب تصليحها كما كان عليه الحال في الماضي لأنّ تكاليف التصليح أصبحت باهظة ومكلفة، لهذا السبب أصبحنا نقبض -في كثير من الأحيان- أجهزة جديدة عوض تصليحها. لذلك، فإنّ هذه الأشياء والأجهزة تبقى دائما "غريبة" عنا. ومن جهة أخرى فإنّ تعقيد هذه الأشياء والأجهزة تجعل المرء عاجزا عن فهم كيفية اشتغالها وسيرها، إذ لم تعد ثقافته ومعلوماته مؤهلة لتحقيق هذا الغرض، وهو الأمر الذي يجعله يشعر بالاغتراب أمام هذه الأشياء، بل ويشعر أيضا وكأنها "أذكى" منه أحيانا أو يشعر أنه "أمي" أحيانا أخرى، وهذا ما يحدث مثلا في تعاملنا مع الأجهزة الالكترونية المعقدة كالحاسوب والهاتف النقّال والسيارة، الخ. لهذا السبب يسعى بعض الناس في زمننا هذا إلى تعويض تجربة الاغتراب المقلقة التي يعيشونها في حياتهم اليومية عن طريق اقتناء بعض الأشياء الخاصة والباهظة، والتي يمكن أن تدوم أكثر من الأشياء الأخرى التي أشرنا إليها سابقا. لكن، وفي كثير من الأحيان لا يتحقق هذا الغرض لأنهم قد لا يجدون الوقت الكافي للاعتناء بها. وبالتالي نستمر في العيش في عالم الأشياء الغريب عنا.

3- الاغتراب بالنسبة إلى أفعالنا :

وحاصل القول في هذا المقام أنّ الاغتراب الذي يتعرض له المرء هنا يرتبط ارتباطا وثيقا بالمنتجات والأدوات التكنولوجية التي أصبحنا نستعملها في مواجهة

المشكلات التي تعترضنا، غير أننا - في أغلب الحالات - لا نتحكم فيها بشكل جيد وسليم، لأننا لا نجد "الوقت الكافي" لتحقيق ذلك، وخاصة حينما يتعقد فهم كيفية استعمال الأشياء التي تهمنا في حياتنا العملية ؛ فحينما نقف على سبيل المثال- جهازا إلكترونيا من السوق نقرأ في كتيب طريقة الاستعمال العبارة التالية : "الرجاء قراءة المعلومات الخاصة بطريقة الاستعمال بشكل جيد قبل استعمال الجهاز". ولكننا، وفي أغلب الأحيان لا نقرأ ما يتضمنه هذا الكتيب بسبب الإفراط الزائد في كيفية تقديم المعلومات الخاصة بالجهاز من طرف الشركة المصنّعة. لكن، وإلى جانب تأثير المنتجات والأدوات التكنولوجية في الشعور بالاغتراب، هناك جانب آخر لا يقل أهمية عن ذلك، وخاصة ما تعلق بالخيارات الكبرى في حياتنا ؛ كالعمل والزواج والدين، الخ. ولنأخذ على سبيل المثال طالبا ثانويا نجح في شهادة البكالوريا وأراد أن يسجل في تخصص ما، حتما سيُقدّم له كتيب أو دليل يرشده إلى تحقيق مطلبه، ولكنه في واقع الأمر لن يجد الوقت الكافي لدراسة ومقارنة البرامج المتعلقة بمختلف التخصصات، ومن ثمة يصعب عليه أن يختار التخصص المرغوب فيه بشكل واع. هذا، ويمكن أن نستحضر أمثلة أخرى كثيرة من حياتنا اليومية تشير كلها إلى هذا الشعور بالاغتراب بالنسبة إلى أفعالنا، وهذا ما يظهر بجلاء عبر تحسّر الناس وتضمّهم في زمننا هذا من إقبالهم على فعل أشياء لا يرغبون حقيقة القيام بها، أو بعبارة أخرى، من قيامهم ببعض الأعمال أو الأفعال كرها لا طوعا ؛ فقليل ما يقوم الناس بما "يرغبون في القيام به". ولكن المفارقة هنا أنهم قد "يقومون إراديا بما لا يرغبون "فعلا" القيام به". إنّ هذا الشكل الغريب والجديد من الاغتراب بالنسبة إلى أفعالنا ناتجٌ - في نظر روزا- عن التسارع الفائق الذي تعرفه المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا.

4- الاغتراب بالنسبة إلى الزمن :

إذا كان من المتيسر قياس الزمن موضوعيا بواسطة عقارب الساعة- كما يرى هرتموت روزا- فإنّ قياس تجربة الزمن على المستوى الذاتي أو الباطني غير ممكن. غير أنّ الدراسات التجريبية المتخصصة قد أثبتت بعض الحقائق فيما يخص شعورنا الباطني بالزمن، وهذا انطلاقا من ظاهرة تُسمى "المفارقة الذاتية للزمن". ويعني هذا أنّ زمن التجربة وزمن الذكرى صفات أو خصائص معكوسة : فحينما نقوم بأشياء تعجبنا وتفرحنا، كأن نساfer مثلا إلى مدينة جميلة نقضي فيها يوما كاملا، سيكون لدينا انطباعات جيدة بخصوص هذا السفر، وذلك حينما نشعر بمرور الوقت بسرعة لم نتوقعها من قبل. ولكن حينما نعود إلى حالاتنا العادية في آخر اليوم سينتابنا شعورٌ بأنّ هذا اليوم الذي قضيناه في هذه المدينة الجميلة كان جد طويل. وهذا يعني أنّ الزمن الذي يمر بسرعة (في وقت قصير) في تجربتنا المعاشة يتحوّل إلى زمن ممدود (في وقت طويل). غير أنه، وفي سياق الحداثة المتأخرة التي تمر بها المجتمعات المعاصرة لم نعد نتملك الزمن، أو بعبارة أخرى أصبحنا عاجزين عن جعل زمن تجاربنا نفسها "زمننا الخاص بنا نحن" وكأنّ الزمن يبقى دوما غريبا عنا، وهذا ما سيؤدي في آخر المطاف إلى ما يسميه هرتموت روزا بالاغتراب الذاتي. **Autoaliénation** ضمن هذا السياق يميز الفيلسوف والناقد الألماني الكبير فلتر بنيامين **Walter Benjamin** بين ما يسمى في اللسان الألماني **Erlebnissen** أي وقائع أو أحداث التجربة التي نجدها في حياتنا اليومية، وهي تجربة تترك أثرا وصورا وذاكرات في الإنسان التي تذكره بهذه الوقائع والأحداث الخارجية التي تركت فيه أثرا، وهذا ما يحدث مثلا عندما نزور مكانا أو بلدا ما. أما النوع الثاني من التجربة فهي ما يسمى بـ **Erfahrungen** أي التجارب التي تترك أثرا

عميقا في وعي وذاكرة الإنسان بحكم ارتباطها الوثيق بهويته وتاريخه وثقافته. وإذا كان من السهل أن ينسى المرء التجارب الأولى المرتبطة بالروتين اليومي فإنه من الصعب أن ينسى الذكريات الحقيقية بمعناها الثاني أي تلك التجارب والذكريات المرتبطة بالتجربة المعاشة المرتبطة بتاريخ حياته وهويته وأفق انتظاره.

5- الاغتراب بالنسبة إلى الذات والآخرين :

إنّ تسارع الزمن بحسب روزا- أدى أيضا إلى تآكل أو تفكك علاقاتنا بأنفسنا وبالآخرين، بحيث لم نعد قادرين على دمج وقائع أفعالنا وتجاربنا في حياتنا الكلية، وبالتالي فقدنا صلتنا بالزمن الحقيقي للحياة وبعلاقتنا بالغير أو بعالمنا الاجتماعي. والمفارقة أننا - في هذا الزمان أي في زمن الحداثة المتأخرة- الذي أدى - كما أشرنا سابقا- إلى تسارع محموم في وتيرة حياة الإنسان- جعل علاقتنا بالغير هشة وغير مستديمة بل غير محتملة "الحدوث" في ظل إحساسنا بعدم وجود الوقت الكافي، والشعور بأنّ حياتنا تمر بسرعة فائقة وبأننا عاجزين عن تخفيف هذه السرعة. إنّ هذه السرعة الفائقة أو التسارع حول علاقتنا بالغير إلى علاقة أدائية أفقدتنا طابعنا الإنساني. أو بعبارة أخرى، لقد اختزلت العلاقات بين الناس في البعد النفعي أو العملي البحث، ولم تعد هذه العلاقات مبنية على التآلف والحميمية والتعاطف مع الآخرين لأنّ هذه العلاقات تستغرق وقتا طويلا في تشكيلها أو تكوينها على المستويات النفسية والاجتماعية والثقافية في زمن التسارع الاجتماعي.

هذا، ويعتقد هرتموت روزا أنّ الآثار السلبية للتسارع الاجتماعي على حياة الإنسان، وعلى ظهور أشكال جديدة من الاغتراب، من الممكن علاجها أو تجاوزها بواسطة ما يسميه بالمقاربة التفاعلية بين الذات والعالم. فالحياة الطيبة والعيش في تفاعل ايجابي مع العالم هي حياة غنية بالتجارب المتعددة الأبعاد لما

يسميه هرتموت روزا "الرنين" **Résonance** الذي يقابل في رأيه الاغتراب، بحيث يمكن أن تنشأ علاقة جديدة بين الذات والعالم الاجتماعي والطبيعة والعمل وعالم الأشياء المحيطة به. ولكنها ليست علاقة معرفية، وإنما تتسم بالطابع العاطفي أو الوجودي، لأنها ليست متوقفة على مضامين معرفية وإنما على "وجودنا في العالم" ما قبل المعرفي كما يقول روزا - التي يتعذر اختزالها في العلاقة الأداتية بين الأنا والعالم.

الهوامش :

(1)- هارتموت روزا فيلسوف وعالم اجتماعي ألماني معاصر (ولد عام 1965). يشغل حاليا منصب أستاذ بجامعة فريدريش شيلر بمدينة إينا الألمانية وأستاذ زائر في جامعة نيويورك بينتمي روزا إلى مدرسة فرانكفورت النقدية، ويُعتبر في نظر العديد من المتخصصين ممثلا لجيل الرابع لهذه المدرسة بعد أكسل هونيث (ممثلا الجيل الثالث). من أهم مؤلفاته التسارع. نقد اجتماعي للزمن 2010. الاغتراب والتسارع. نحو نظرية نقدية للحداثة المتأخرة 2012.

(2)-Hartmut Rosa, Accélération. Une critique sociale du temps. Traduit de l'allemand par Didier Renault, Paris, La Découverte, 2010, p 16.

(3)-Hartmut Rosa, Aliénation et accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive. Traduit par Thomas Chaumont, Paris, La Découverte, 2012, p 19.

(4)-Hartmut Rosa, Accélération. Une critique sociale du temps, p 30.

(5)-Hermann Lübke, « The contraction of the present » in Hartmut Rosa and Williams Scheurman, High-speed society. Social acceleration, power and Modernity, Pennsylvania State -university, Pennsylvania, 2009, p. 159-178.

(6)-Hartmut Rosa, Accélération. Une critique sociale du temps., 2010, p 101.

(7)-Hartmut Rosa, Aliénation et accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive, p22.

(8)-Ibid., p.23.

(9)-Hartmut Rosa, Aliénation et accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive, p 24

(10)-Hartmut Rosa, Aliénation et accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive p.26.

(11)-Ibid p 27.

(12)-Hartmut Rosa, Aliénation et accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive, p.115.

(13)-Ibid.,p 116.

(14)-Ibid., p.117.

(15)-Ibid., p120.

(16)-Hartmut Rosa, Aliénation et accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive,p.121.

(17)-Ibid., p 122.

(18)-Ibid., p.126.

(19)-Hartmut Rosa, Aliénation et accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive. p 128.

(20)-Ibid., p132.

(21)-Walter Benjamin, Charles Baudelaire. Un poète lyrique à l'apogée du capitalisme, Paris, Payot, 1982, p 152.

(22)-Hartmut Rosa, Accélération. Une critique sociale du temps, p 179.

(23)-Hartmut Rosa, Aliénation et accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive 133 p

(24)-Ibid.,p141.